من مقاومات الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا مع نهاية القرن الرابع الميلادي

Of resistors the Roman occupation in North Africa at the end of the fourth century AD

أ.د/عبد الحميد عمران*

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

amrafis@hotmail.com

History of the article/معلومات المقال		
Received/الإرسال	Accepted/المراجعة	Published/القبول للنشر
2020/01/04	2020/02/14	2020/06/30

الملخص:

لم يتردد سكان المناطق الجبلية إطلاقا في تحديد أصولهم، لمواجهة الخطر المشترك، وبقوا يرفضون الخضوع وبخاصة شعب البوار الذي زعزع استقرار مقاطعة موريطانيا الطنجية، ثم موريطانيا القيصرية، على الحدود الشرقية المتاخمة لمقاطعة نوميديا، لجأ الاحتلال الروماني لسياسة التحالفات وتوزيع السلطة واستمالة بعض المشيخات القبلية، إلا أن الفساد الذي عمّ المقاطعات الرومانية في إفريقيا قد أدى الى تضارب المصالح ومن ثمة ظهور تمردات أدت إلى ثورات كبرى زعزعت البنيان الروماني في المنطقة، ومنها ثورة الأمير الموري فيرموس سنة 372م.

الكلمات المفتاحية: الاحتلال الروماني، الممالك المورية، قبائل، فيرموس، ثورة.

Abstracter:

The inhabitants of the mountainous regions did not hesitate at all to determine their origins, in order to face the common danger, and they continued to refuse to submit, especially the Bavar people, which destabilized the Tangier Province of Mauritania, and then Caesarea Mauritania, on the eastern borders adjacent to the Province of Numidia. Tribalism, however, the corruption that afflicted the Roman provinces in Africa has led to conflicts of interests and from there emerged rebellions that led to major revolutions that destabilized the Roman architecture in

* **The author of the sender/المؤلف المرسل**

Pr/ Abdelhamid Amrane: Mohamed Boudiaf University of M`Sila, Algeria. Email: amrafis@hotmail.com

the region including the revolt of the Maury Prince Firmus in 372 AD.
Key words: Roman occupation, Moorite kingdoms, Tribes, Firmus, revolution.

مقدمة:

ظلت بعض الأقاليم في المغرب القديم خارج حدود السلطة الرومانية، تدار بواسطة أمراء محليين، ولم يشملها الاستيطان كالمرتفعات والسهوب، مُشكِّلة وحدات مستقلة نسبيا، خاصة في الجبال التي ظلت تمثل مصدر تهديد لأمن المدن والقرى الاستيطانية طيلة الوجود الروماني بالمنطقة، ومن تلك القبائل توجد خمسة قبائل شكلت ما يسمى بقبائل الحلف الخماسي وهي قبائل عرفت بعدائها للرومان، ويرجح أن مجال هذه القبائل الجغرافي يمتد في المنطقة الغربية لموريطانيا السطيفية إلى غاية حدود موريطانيا القيصرية الشرقية في مناطق القبائل والبيبان إلى غاية"أوزيا" وبقيت تلك المناطق الجبلية مستعصية على السيطرة الرومانية وظلت القبائل تعيش على الزراعة الجبلية وتتنقل ما بين المناطق التليّة الغربية والشرقية كما هو الحال بالنسبة لقبائل"البوار"، ولم يتردد سكان المناطق الجبلية إطلاقا في تحديد أصولهم، لمواجهة الخطر المشترك، وبقوا يرفضون الخضوع وبخاصة شعب البوار الذي زعزع استقرار مقاطعة موريطانيا الطنجية ما بين سنتي233 و235م [1]، ثم موريطانيا القيصرية، على الحدود الشرقية المتاخمة لمقاطعة نوميديا، مما أرغم الرومان على الرضوخ لهذا الأمر، وتأكيد حكم الزعماء المحليين من خلال تقويه حكمهم والاعتراف بهم كحقيقة واقعة وتنصيبهم من خلال بعض المراسيم مثل الصولجان الفضي المذهب والتاج والقفطان الأبيض والسترة البيضاء والأحذية المذهبة [2]. ولنا أن نتساءل عن مدى التوافق هذا. وما حدوده؟ ولم قام الأمير فيرموس بثورته؟ وما هي مجالاتها وكيف انتهت؟ ذلك ما نحاول البحث فيه من خلال هذه المداخلة.

أولا/ وضع الممالك المورية خلال فترة الاحتلال الروماني

كانت روما مضطرة للموافقة على القادة التقليديين المعينين من طرف القبائل وتكتفي بتنصيبهم، وذلك لضرورة احترام النظام الاجتماعي القبلي المحلي، خصوصا بالمناطق الجبلية ومراقبة تلك القبائل واتحاداتهم بواسطة ضباط وعاملين أو وكلاء [3]. وظلت تلك المناطق التلّية والجبلية بالخصوص تشكل مصدر خوف دائم للوجود الروماني الذي بدأ في ربط تحالفات مع بعض زعماء القبائل بهدف الحفاظ على مصالحه، وبقائه في المنطقة معترفا لهم بالحكم المحلي وسعى

لإثارة الفتن فيما بين القبائل كلما سنحت الفرصة لذلك، لإذكاء الصراعات القبلية ليستفيد منها في النهاية نتيجة لحالة الاضطراب والفوضى الناتجة.

وبقيت تلك القبائل التي تحتل المرتفعات تثور من حين إلى آخر، وكان من آثار ذلك أن تضرر المعمرون من تلك التمردات مما جعلهم يلجئون إلى الإمبراطورية من أجل حمايتهم وضمان أمنهم، والتي قامت بتقسيم الأراضي التي استولت عليها، على جنودها مقابل الالتزام بتوريث الخدمة العسكرية لأبنائهم [4]، وهذا بهدف الحفاظ على الروح العسكرية وقوة الجيش في المنطقة كقوة ردعية للحفاظ على السيطرة، ولضمان استمرار هذا الزاد البشري الذي يزود الجيش بالرجال، مما يدل على عدم الإقبال والرغبة في التجنيد الطوعي، وأيضا قوة تلك الانتفاضات التي تتطلب مددا إضافيا من الرجال، وبدأت مظاهر الانحطاط لما ساءت أحوال السكان، خاصة أولئك الذين يقيمون خارج أسوار المدن، حيث فقدوا الروح العسكرية التي كانت تزود مختلف الفرق الإمبراطورية بعدد غير قليل من المجندين، وتمت الاستعانة بالعائلات العسكرية والتعامل بحذر مع الأمراء المحليين الذين انفصلوا بوظائفهم المدنية والعسكرية، خاصة خلال القرن الرابع للميلاد [5].

وتميز الوضع العام خلال هذه الحقبة بالتوتر، وعدم الاستقرار مع وجود قبائل شبه مستقلة في المناطق الجبلية والمناطق غير الخاضعة تماما للسيطرة الرومانية، والتي ظل التماس بينها وبين الرومان يتقارب ويتباعد، وظلت روما تتحيّن الفرص من أجل السيطرة على تلك القبائل، من خلال الحملات العسكرية ضد الحلف الخماسي خاصة مع نهاية القرن الثالث للميلاد [6].

حيث قدم مشايخ قبائل جرجرة والبابور يد المساعدة إلى زعماء تلك الانتفاضات، وفشلت الفرق الرومانية في القضاء عليها تماما رغم أن بعض النقوش التي وجدت في المنطقة تشير إلى انتصارات حققها الرومان ضد تلك القبائل، وذلك بتوجيه الشكر للآلهة التي ساعدت قادة تلك الحملات في تحقيق النصر ومنها إهداء إلى الإله "جوبتير" وجد في "كويكول" مُهدى من نائب الأوغسطين الثلاثة في نوميديا يشكره على النصر الذي حققه جيشه وذلك بعد سنة 255م.

مما يعني أن تلك الكيانات ظلّت تشكل مصدر قلق للسلطة الرومانية من الجهة الغربية لنوميديا، وتمكنت تلك الكيانات فيما يبدو من فرض سيطرتها على المدن الواقعة خارج إقليم الليمس المتراجع، في وقت فشلت فيه روما في استمالة تلك القبائل [7]. وخلال القرن الرابع ساءت أحوال الإمبراطورية الرومانية، وتفشّت المؤامرات السياسية ضد المجتمع وتزايدت مكائد السلطة وارتفعت حدة المظالم مما ينبئ بثورة عارمة يضاف إلى ذلك الانقسام الديني [8] والانحطاط المصاحب للرومان في منطقة المغرب القديم كنتيجة للفساد الذي تفاقم في هذه الفترة.

ووصلت الرشوة قادة الجيش في إفريقيا، فلما استنجد أهالي"لبدة" (Leptis) بالقائد الروماني في أفريقيا "رومانوس" [9]، لرد القبائل التي تهدد الموانئ خلال سنة 364م، طلب مقابل ذلك أن يقدم له الأهالي أربعة آلاف رأس من الإبل وأموالا خيالية، ولما علم الإمبراطور بذلك أرسل وفدا لتقصى الحقيقة، فاشترى "رومانوس" ضمائر عناصره وحاك المكائد وحوّل المظلوم إلى ظالم، فاسحا المجال أمام أعمال النهب والتخريب من طرف المهاجمين من قبائل" الأوسترينس" الذين قتلوا عددا كبيرا من سكان لبدة [10].

مما يعني أن الفساد الذي عمّ الجيش والنظام الروماني كان عاملا مشجعا على تلك الأحداث، وعلى الاضطرابات والثورات المستمرة نتيجة لحالة الفوضى والانهيار الشامل لهيبَة المحتل، ممثلا في رموزه في مختلف الوظائف، والذين لا همّ لهم سوى جمع الثروة على حساب المبادئ والقيّم التي أرادت أن تكرسها الإمبراطورية في نفوسهم من أجل خدمة روما بالأساس، ولم تعد الأجهزة الإمبراطورية قادرة على مراقبة الوضع بالجدية والصرامة المطلوبة، في الوقت الذي لم تنتبه فيه السلطة إلى ميوعة الكونت "رومانوس" وتصرفاته الأنانية التي تهدف إلى تحقيق مصالح مالية، ذاتية وهذا ما جعل"أميان مارسلان" يحمله المسؤولية في اندلاع ثورة "فيرموس" لسنة 372م [11].

ثانيا/ ثورة فيرموس372م

1- أسباب ثورة فيرموس

اندلعت ثورة فيرموس في المجال الجغرافي المستعصي الذي يتمتع بنوع من الاستقلالية، سكانه من الأسر العريقة التي وصفتها المصادر بالملكية، والتي يحتمل قدمها وعراقتها وتعاملها مع

الحكام الرومان ومنها أسرة الأمير "فيرموس"بن "نوبيل" التي كانت تسيطر على منطقة واسعة من موريطانيا تبدأ من جبال البيبان إلى نهر الشلف، وتحوز ضياعا شاسعة وتراقب منافذ وداي"الصومام" و"يسر" و"أوزيا" ووادي الشلف [12].

لقد ترك "نوبيل" أسرة كثيرة العدد ومن أبنائه "فيرموس"و"جيلدون و"مكزيزل" و"سماك"[13] و"ديوس" و"مازيكا" وأختهم "سيريا" يقيمون في مختلف المناطق المتباعدة عن بعضها البعض، كما ترك أملاكا شاسعة [14]. ثار خلاف حول الخلافة بين أبناء "نوبيل" بعد وفاته، خصوصا ما بين" فيرموس" الابن البكر و"سماك" الذي كان يقيم في منطقة "ميلاكو" على الضفة الغربية من وادي ساحل في الجوف الغربي من"تيكلات" وشيد في تلك المنطقة قصرا يسمى "فوندوس بيترنسيس" ليتوسع حوله البناء حتى صار مدينة، وامتلك "مازيكا" ضيعة بوادي الشلف وأقام "فيرموس" بقصر أبيه بالثنية أما "سيريا" فكانت غنية وتمكنت من استقطاب الثوار لأخيها فيرموس أثناء حربه ضد الرومان [15].

وكان "فيرموس" قد استقر في الصومعة وأستقر أخوه" سماك" في قصره الحصين الذي شيد على تلال تمثل ملتقى أودية بالثنية، حيث يحتل منطقة تبين بوضوح أن "نوبل"كان يقوم بحراسة ممر يهم الرومان [16]، سمى هذا القصر"فيرا"، وكان كبيرا وكأنه مدينة حسب رواية "أميان مرسلان" [17]. وبدأ الصراع بين أبناء "نوبيل" حول الإرث الذي تركه لهم والدهم وبالأخص الحكم، وهو الذي كان من أقوى الملوك المورية واختار"رومانوس" صف "سماك" الطامح إلى وراثة حكم أبيه ويعتقد بأنه الزعيم الشرعي لذلك [18] فثار "فيرموس" ضد هذا الحلف، وقتل أخاه "سماك" وأراد "رومانوس" الثأر لحليفه القتيل [19]، واستخدم كل الوسائل ليوقع به وأطلق إشاعات بأنه تمرد على السلطة التي راسلها حول ذلك ولم يترك له فرصة لتبرئة ساحته [20].

ودافع "رومانوس"هنا هو دافع شخصي هدفه الانتقام لصديقه "سماك"، ولو كان أمر الإمبراطورية يعنيه لاختار"فيرموس" خليفة لوالده ما دام أنه لم يُبد أي نوع من العصيان تجاه الرومان، وهذا السلوك دفع بالخوف في نفس "فيرموس" من المصير المأساوي الذي ينتظره وأنه سيحكم عليه بالإعدام فانفصل عن السلطة وتعاطى النهب [21]، ليعلن "رومانوس" عليه الحرب بمساندة جيلدون وبعض أثرياء الرومان، وبالمقابل ناصرت بعض القبائل الموريطانية "فيرموس" [22]

وكان الدافع لعصيانه دوافع الشخصية وعائلية لأنه كان يطمح لخلافة والده كملك للقبائل المورية [23]. ومع حكم "فاليران "سنة 364م قلّ الانضباط وسادت الفوضى بين الموظفين وعمّ الجشع والفساد بين صفوفهم على مختلف مستوياتهم مثل تصرفات الكونت"رومانوس" [24]، والمتهم بالتسيب وجلب المصاعب للإمبراطورية، ويتحمل المسؤولية في اندلاع ثورة "فيرموس" [25]. مع استمرار الاستنزاف الاقتصادي وتبني روما لسياسة التهميش الداخلي وإشاعة النعرات القبلية في المناطق شبه المستقلة، ووصل الأمر إلى إشاعة التفرقة بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الأخوة الأشقاء، ففيرموس وعائلته كانت من العائلات الحليفة للرومان.

ولم يكن له فيما يبدو مشروعا حربيا ضد الرومان في البداية ولكن هذا المشروع قد بنته الأيام مع مرور الوقت ليعبر عن رغبة السكان في الثورة ضد الابتزاز الاقتصادي الذي كان يمارسه الكونت "رومانوس" والجهاز الإداري الروماني [26].

وما تحالف العديد من القبائل مع هذه الثورة إلا دليل على أن الاستياء من الوجود الروماني كان عاما في كامل منطقة المغرب القديم، بما في ذلك العائلات المترومنة كعائلة" فيرموس"، والظاهر أن هذه الثورة كما تلمح الروايات قد اندلعت في سنة 372م، إلا أن هناك من يحددها بفترة أسبق إلى سنة 370م بعد أحداث لبدة، إلا أنها ارتبطت بتاريخ حملة "ثيودوز" ضد هذه الثورة منذ سنة 372م.

اندلعت الحرب في الجبال المجاورة "لصلداي" بقيادة" فيرموس" وذلك بالقرب من قصر"بترا" [27] واستطاع "فيرموس" أن يجمع مختلف القبائل الموريطانية إلى صفه ضد الرومان ودان له الأمر وصارت المنطقة بين يديه ليزداد قوة [28]، واندفعت إليه القبائل البدوية وحظي بمساعدة الفلاحين المستقرين والقبائل الجبلية التي لم تكن خاضعة إلا شكليا للرومان وصاروا أتباعا طبيعيين له في مواجهة روما ولعل هذا ما دفع بالقديس أوغسطين إلى تسميته بالملك البربري [29].

2- المجال الجغرافي لثورة فيرموس

بدأ فيرموس ثورته ضد الرومان بإثارة الأهالي في المنطقة رغبة منه في إقامة مملكة، وغزا الساحل وهاجم "القيصرية" ومدينة" إيكوسيم" وأخضعها ثم احتل "شرشال القيصرية "حيث

استولى على الخزينة العامة، وأشعل فيها النيران وتغلب على جيوش "رومانوس" [30] ويبدو أنه جمع تعزيزات كبيرة واستعدادا لهذا الأمر حتى انه جمع عشرين ألف مقاتل من خمس عشر قبيلة [31]، ولا شك أنه صار أقوى بتحالفه مع القبائل المورية التي مكنته من السيطرة على العديد من المناطق ونشر الذعر في نفوس أعدائه [32].

وبدت ثورته سريعة ومهددة للوجود الروماني ووجدت القبائل المورية في هذه الثورة أمل الخلاص والرغبة في التحرر، وظهر" فيرموس" للسكان المور بمثابة المنقذ من الوضع، وخاصة بعد أن ظهر الحاكم "رومانوس" عاجزا على فرض سلطته المعنوية على قواته العسكرية في القيصرية وفي المناطق الواقعة تحت قيادته [33].

ولم تعد روما قادرة على ضمان هيبتها على مجتمع يتميز بقوة الروح القبلية والتي عرف "فيرموس" كيف يستغلها، بعد ما عبر عن مطامحها في وقت انضمت فيه فرقتان من الكتائب المساعدة الرومانية المشكلة من الأهالي إلى جانب "فيرموس"، مما صعب من مهمة الرومان في القضاء على هذه الثورة، وتحول دورهم في حالات كثيرة إلى الدفاع [34]، واجتاح "كارتيناو" وكان انهيار المقاطعة سريعا.

وآزرته مختلف القبائل بدليل امتداد رقعة حربه الجغرافية التي انطلقت من نقطة الصومعة لتصل إلى مصب نهر الشلف، وربما أبعد من ذلك، وفي الجنوب الشرقي دعمته القبائل التي تقطن منطقة جبل بوطالب غرب الأوراس، وحتى الجنوب الغربي أين دعمته قبائل"المازيق" التي تقطن التلال الوهرانية [35].

وكون العديد من جنود الفرق الأساسية كتائب داخلية، اصطفت تحت راية "فيرموس" يضاف إليهم المرتدون من جيش "رومانوس" والدوناتيين، والدوارين والقبائل، إلى أن بلغ جيش فيرموس العشرين ألف رجل، وتمكن من عزل عاصمة القيصرية التي أُحرقت وسُلبت، ويعتقد أنها سمّت "فيرموس" بالملك إلى درجة أن إحدى القبائل قد وضعت له تاج الملك.

واختلف أتباع فيرموس كما اختلفت التركيبة الاجتماعية والفكرية لقواته، وضمت كامل سكان المنطقة على أسس مختلفة، العشائري والوثني والدوناتي المتحمس والجندي الناقم على

الوضع القائم، فكانت ثورة شاملة متسعة في المكان الذي وصل إلى أطراف التل الوهراني غربا مرورا بالقيصرية ومنطقة قاد الحملة الرومانية تجاه "فيرموس" "الدوق ثيودوز" زعيم الفرسان الذي كلفه الإمبراطور "فالينتيان" بالقضاء على هذه الثورة، باعتباره أفضل القادة العسكريين لتبدأ مرحلة جديدة من عمر هذه الثورة واستمرت الحملة ثلاث سنوات من372م إلى 375م، وشهدت القضاء على ثورة "فيرموس" [36].

ويظهر أن قوة ثورة فيرموس كانت قد أرعبت روما والكونت "ثيودوز" الذي أعلن حالة الطوارئ وأصدر قانونا يسمح لأعضاء مكاتب مختلف الحكومات المدنية والعسكرية بالانضمام إلى الجيش الروماني ويجبر الموجودين في حالة انتداب مؤقت في فيالق الحدود أو أي فرقة أخرى بالالتحاق بفرقهم إن كانوا قادرين على حمل السلاح [37].

والملاحظ أن"تيدوز" تجنب أسلوب المواجهة المباشر واختار حرب المباغتة لضرب قوات "فرموس"، وبذلك طبق خطة عسكرية يستهدف منها مفاجأة جيش عدوه وإرباكه حتى يتسنى له تحقيق نصر سريع، ومما يعني أيضا أن هذه الثورة قد أرعبت روما فعلا، مما جعلتها تفكر في تلك الخطط العسكرية الكبيرة الموكلة إلى قائد بحجم "تيدوز". الذي سعى إلى كسب الوقت ودفع القبائل لأن تمل الحرب وتفقد الحماس، وتتخلى عن مساندة فيرموس، في الوقت الذي ينكل فيه بأنصار فيرموس ليكونوا عبرة لكل من يرغب في الانضمام إليه [38]، والذي يكون قد طلب الصلح وقبل هذا القائد عرضه الداعي إلى الأمان بوساطة كهنة مسيحيين لكنه سرعان ما تراجع عن ذلك لأن القائد الروماني غالى في شروطه والتي كان من بينها استسلام فيرموس نفسه ليشنّ الحرب من جديد.

وقد يكون فيرموس طلب السلم حتى يخادع خصمه ويشعره بثقة زائدة [39]، أو أراد ربح الوقت ليعيد تنظيم صفوف جيشه مع هذا المعطى الجديد وليجعل جنود خصمه يشعرون بالملل في منطقة ذات مناخ حار نسبيا وغير متعودين عليه. وحسب" أميان مرسلان" فإن جيش"تيدوز" كان يحقق الانتصار تلو الآخر وملاحقة أعدائه إلى حدود الصحراء ويحرق المحاصيل والقرى [40] وأرعب أعداءه، وتمكن من عقد حلف مع "جيلدون "القائد الذي ظلّ وفيا للإمبراطورية الرومانية، في مواجهة أخيه [41] وتمكن جيش القائد الروماني بعد أن توجه إلى "توبسكتو" على وادي الصومام

من هزيمة قبيلتي "بتندس" و"مسيسنة" وكانتا تحت قيادة أخويه "ماكزيزيل" و"ديوس"، واحتل ممتلكاتهما وممتلكات "سماك "وقصر "بترا" [42].

ولا شك فإن سياسة التفرقة الرومانية كانت قوية في هذا التحالف ما بين أخوي فيرموس (جيلدون ومكزيزل) وبدأ "تيدوز" في البحث عن تحالفات أخرى في صفوف القبائل بغية تشتيت جهد "فيرموس"، وتطويع القبائل الثائرة من منطقة "ستيفيس" إلى الحضنة والتيطري وما وراء مرتفعات الونشريس بعد معارك عديدة والتي أسفرت عن إعادة احتلال شرشال القيصرية، حيث ترك فرقتين لحمايتها من الهجمات المتكررة [43].

وواصل القائد الروماني زحفه حيث بدأت الفرق التي انضوت تحت راية فيرموس تتراجع ومنها خالة الفرق الرابعة التي أنزل " ثيودوز" رتبها وطلب منها أن تسير خلفه إلى مدينة "تكافا" بحوض الشلف، حيث طبق عليها أشد أنواع العذاب [44] ليواصل رحلته إلى مدينة "زوكوبار"– مليانة – و"كاستيليوم تانجيتيوم" –الشلف–لتعقب الفرق التابعة لفيرموس الذي لجأ إلى منطقة جبلية محصنة بعدما أحتل معسكره ليتقدم "ثيودوز"في منطقة وعرة ليجد نفسه وسط قبائل تحمل الكره لكل ما هو روماني فاضطر إلى العودة في فيفري سنة 374م إلى مدينة تيبازة [45].

ويظهر أن" ثيودوز" قد بدأ في تنفيذ تهديده هذا حيث قتل عددا من أفراد قبيلة "الإيزفلاس" في إحدى المعارك مما دفع بايغمازن إلى التفاوض السري معه من أجل القبض على فيرموس [46] وتسليمه إليه. ويعود سعي "ثيودوز" إلى سلاح الخيانة نظرا لارتباط السكان بفيرموس، خاصة بعد أن تعرض لضربات قبيلة "يزالنس" بالهضاب العليا والتي كانت قد تعهدت بتقديم العون للرومان [47]. مما جعل "ثيودوز" يتيقن في ظل الانتصارات المحققة من قبل فيرموس استحالة القضاء على ثورته عسكريا –فلجأ إلى أسلوب الغدر والخيانة والترهيب وشراء ذمم بعض القبائل بوعود لا تنفذ.

ولما وقع" فيرموس" في يد"إيغمازن" وأدرك بأنه واقع لا محالة في يد عدوه " تيدوز" قتل نفسه في غفلة من حراسه الذين كانوا يسبحون في نشوّة الخمر، وقام "إيغمازن" بحمل جثة "فيرموس" على ظهر بعير إلى "ثيدوز" الذي عرضها أياما أمام الجمهور ليرتدعوا [48]. وبنهاية

فيرموس المأسوية فقدت قبائل المنطقة والحركة الدوناتية والدوارون، قائدا متمرسا استطاع أن يجمع كل تلك الفئات على اختلاف منشئها، ولكنها اتحدت إلى حد بعيد في تحديد هدفها وهو العداء للاستغلال الروماني.

3– نتائج ثورة فيرموس

– إخضاع وتطويع القبائل لفائدة روما بعدما صادرت أراضيها إضافة إلى أعمال الحرق وضرب مصادر المؤن والذخائر وتخريب الضياع والمدن وتدمير مصادر الغذاء [49].

– الكثير من القبائل التي أذعنت للدوق الروماني مما سمح له بعقد تحالفات مع أمراء محليين لتقوية أتباع روما في المنطقة.

تفكيك القبائل المتحالفة، ولو لبعض الوقت من خلال تكريس أسلوب فرق تسد، وإعادة ترتيب النظام الروماني في المنطقة وبتكليف أمير محلي متحالف مع الرومان.

– ساهمت في ميلاد الرغبة في التحرر وعدم الرضوخ للمحتل ن وتجلى ذلك في تجدد الثورة على يد أخيه جيلدون الحليف السابق للرومان.

– أما على صعيد روما فهذه الثورة ليست أمرا هيّنا، إذ أنها غيرت وجه أفريقيا الرومانية وقد أسهمت بكل تأكيد في تعزيز دور "ماقنوس ماكسيموس" (Magnus Maximus) والذي أعلن إمبراطورا من "غالا" في 25 أوت 283 م ولكنه انتظر حتى سنة 387م لكي يدخل إيطاليا [50].

خاتمة:

سعى الاحتلال الروماني إلى محاولة الاعتماد على زعامات محلية للحفاظ على نفوذه مقابل منحها بعض الامتيازات، ونظرا لتردي الوضع العام في المنطقة وانتشار مظاهر الفساد والرشوة وما صاحب ذلك من زيادة في الضرائب انقلبت تلك القيادات المحلية على الحليف الروماني ومنها ثورة فيرموس بن نوبيل الذي تحول من أمير موالي إلى ثائر معادي، كبد الاحتلال الروماني خسائر كبيرة وساهم في زيادة حدة العداء تجاه روما التي استعانت بخيرة قادتها العسكريين للقضاء عليه، ولم تتمكن من ذلك إلا بعد سياسة الغدر والخديعة والإغراء.

الهوامش:

1- عبد العزيز أكرير، "**مقاومة الموريين للرومان بموريطانيا الطنجية ما بين 40-285م دراسة اسطوريوغرافية**"، في المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، ج 2، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2005، ص.39.

2- Courtois (Ch**.), les Vandales et l'Afrique**, Paris, 195, p.124.

3- Jean-Pierre Laporte, **les armées romaines et la révolte de Firmus en Maurétanie l'armée romaine césarienne**, in de Dioclétien à Valentinien1er, Diffusion de Bocccard , Paris, 2004,p.280.

4-Carcopino (Jérôme), « **les Castella de plaine de Setif d'après une inscription Latine** », R.AFR.,N°,59,1918., p.p.16-17 .

5- Gsell(S.), l'Algérie dans l'antiquité imprimerie libraire éditeur ,Alger,1903 ,p. 102.

6- CHARBONNEAU(M.), «**L'inscription du Tétrastyle de potitus a Constantine** »,R.S.A.C. N° 13 , 1869 ,p.126.

7- Monceaux (P.), **Les Africains (étude sur la littérature latin D'Afrique) les païenes** , Licence Audio et éditeurs , Paris , 1894.,p.25 .

8- Winkler(A), « **Précis d'histoire des Campagnes d'Afrique de Théodose contre Firmus 372-375**», R.T N°68, 1908, p.137 .

9- رومانوس"كونت أفريقيا والقائد العام لكافة القوات النظامية لأفريقيا وأحد أكبر الشخصيات الرومانية الكبرى في الدولة،كان يتحكم في عدد من القضاة وقادة السرايا والفرق النظامية والفرق المساعدة وحكام الحدود وعدد من الزعماء الأهالي. للمزيد ينظر،

Tauxier (H.), « **récite de l'histoire d'Afrique le conte Romanus** », R.AFR, N°, 19, 1890, pp. 202-203.

10- STEIN Ernest, Histoire du Bas-Empire, T,1, (de l'Etat romain à l'Etat byzantin 248-476), Desciee de BROUWER , Paris,1959,pp,178-179.

11- Ammien Marcellin, XXIX,5,2.

12- Decret(F) et Fantar (M), l'Afrique du Nord dans l'antiquité, histoire et civilisation des origines au V eme siècle, Payot, Paris, 1981, p.334.

13-"سماك "ابن "نوبل" من إحدى خليلاته، ارتبط مع الكونت الروماني" رومينوس" الذي أقام معه علاقة صداقة قوية مما شكل خوفا عند أبناء نوبل من تقديم "سماك" عليهم في الزعامة ليتم اغتياله في ظروف غامضة لينتج عن ذلك صراعات دامية. للمزيد ينظر، Tauxier(H.),op- cit ,p p. 202-203

14- Mesnage (J.), **le christianisme en Afrique (L'origine développement et extension)** ,Alger – Paris ,1914. p.304.

15- Decret(F) et Fantar (M) ,op- cit p .334.

16- Gsell (S.), «**observation géographique sur la révolte de Firmus** », R.S.A.C.,N°36,1902, p.30.

17- Ammien Mercellin,XXIX,5 .
18- Jean-Pierre Laporte, op-cit., p.283.
19- Ragot(W.),«**le Sahara de la Provence de Constantine** », R.S.A.C,17eme VOL.,1875 ,1876. p.p.244-245.
20- Ammien Marcellin ,XXVIII, 5,2 .
21- Ibid,XXIX,5,3.

22- محمد الصغير غانم ،"**بعض من ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني**"، مجلة الثقافة، العدد 115، وزارة الاتصال و الثقافة، الجزائر، 1997، ص.20.

23- Decret(F) ; Fantar (M), op- cit ,p .338.
24- Berbrugger (A), **les Epoque militaires de la grande Kabylie**, éditeur, Bastide libraire, Alger, 1857, p.216.

25- محمد الهادي حارش، "**ثورة فيرموس 372-375م**"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد، 7، 1993، ص.11.

26- Kotula (T.), «Firmus était-il usurpateur ou roi des Maures ? », Acta Antiqua Academiae Scientiarim Hungariae,T.18, 1970, p.143.
27-Gsell(S.), « observation géographique sur la révolte de Firmus »…,p.32.
28- Schmidt(L.), **Histoire des Vandales, trad., H.E**.,Delmedico ,Payot, Paris,1953, p.68 .
29- Augustin (St.),cont epist Parm, I,10,17.
30- Martroye (F.), **Genséric la conquête Vandale en Afrique et la destruction de l'Empire d'occident**, Hachette, Paris,1907, p.30.
31- Decret(F,) ;Fantar (M), ,op- cit .p 335.
32- Winkler(A,), op-cit., p.137.

33- محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص.362.

34- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص.20.

35- Mesnage (J.), ,op- cit .,p.307.
36- Robert(Achille), « **Note sur les Ruines de Castellum-Auziense** », R.S.A.C., N° 37, 1903, p.52 .

37- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص. 12-13.

38- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص.21.

39- Yanoski (M.J.), **l'Afrique chrétienne**, édit.,Fermain Didot, Paris, 1884,p . 86.
40- Ammien Marcellin,XXIX,5 .
41- Mesnage(J.), le christianisme en Afrique..,p.310.

42- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص. 13.

43- Cagnat René, **l'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs** , imprimerie Nationale, E. Leroux , Paris , 1913, ,p.84 .

44- Ammien Marcellin, XXIX,5 ;20 ;21,23.

45- Cagnat René, op-cit,.pp.85-86.

46- Ammien Marcellin, XXIX,5,51-52.

47- محمد الهادي حارش المرجع السابق، ص.15.

48- Ammien Marcellin, XXIX,5 .

49- محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص.364.

50- Jean-Pierre Laporte, op-cit., pp, 296-297.